الترجمات عن اليونانية

الاسباب التي دعت الى الترجمة

طبيعة العمران ، البطنة والاوبئة ، علم الفلك والرياضيات ، الفرق ، الشعوبية ، حاجة الدين الى الفلسفة ، تشجيع الخلفاء .

اشهر النقلة

حنين بن اسحق ، حياته ، طريقة ترجمته ، تلامذته ، مؤلفاته ومترجماته ، كتاب المقالات العشر في العين .

ثابت بن قرة : حياته ، شهرته ، مؤلفاته .

يحيى بن عدي : حياته ، مصنفاته .

قسطا بن لوقا : حياته ، انتاجه .

منابع الفكر العربي

الاسكندرية ، زعماء المذهب الاسكندري ، فيلون : حياته ، ملخص مذهبه .

افلوطين : حياته ، مذهبه ، تسرب المذهب الاسكندري الى اليهودية والنصرانية .

obeikandl.com

الاسباب التي دعت الى الترجمة

انصرف العرب في صدر الاسلام الى دين لا يرضون عنه بديلًا ، ينفقون العمر في درس القرآن ، ونقل الحديث ، واخبار الصحابة . واقتصرت الثقافة عندئذ على هذه الناحية الضيّقة من حياة الفكر . ورأوا انفسهم ليسوا بحاجة الى ما أثِرَ عن الاغريق والفرس ، فلم يعنوا بما عثروا عليه من الكتب الفلسفية والعلمية والطبيعية اعتقاداً منهم « ان الاسلام يهدم ما قبله » و « لا ينبغي ان يُتلى غيرُ القرآن » . ولكن التعصب القبلي عاد الى الظهور بشكل الاحزاب في العصر الاموي ، وعاد الادب الى البروز في صور جديدة ومواضيع حديثة . وانتهى عهد الفتوح ، ودخلت الامم الغريبة دائرة الاسلام ، وتعلم العربية الكثيرون من الاعاجم ، كما ان قسماً من العرب المتحضرين الذين كانوا على اتصال قديم بفارس وبيزنطية ، يجيدون لغة اجنبية الى جانب لغتهم القومية .

فبعد ان كان الخلفاء الامويون وعمالهم في الامصار ينظرون

الى كل علم نظرة الريبة والحذر ، اصبحت الحضارة العباسية ممثلة لجميع الحضارات التي عرفها العالم القديم ، وغدت بغداد ، العاصمة السياسية ، عاصمة ثقافية يقصدها اشهر الاطباء والرياضيين والعلماء والمتفلسفين ، من كل قطر ، وكل لغة ، فيجد فيها كل واحد من هؤلاء سوقاً رائجة ، وذكراً نابهاً ، ومالا وفيراً . وبعد ان استخار عمر بن عبدالعزيز الله اربعين يوماً ليضع بين ايدي المسلمين كتاباً طبياً منقولا الى العربية يفيدون منه في اصلاح ابدانهم ، ومداواة عللهم ، نرى المأمون والواثق بعده يحاولان نقل المعرفة من الخاصة الى العامة ، لكي ينعم جميع الناس بخيراتها المادية والعقلية .

ولا شك ان اسباباً هامة ادّت الى هذه النُقْلَةِ من المحافظة المغرِقَة في دينها الى التطرف المغرق في فلسفته . لا تقتصر على فئة من الفئات ، ولا نبع من المنابع ، وانما تتوزع وتتشعب حتى تكاد تشمل جميع الطبقات الشعبية والجنسية . فكان لطبيعة العمران والرقي ، وانتشار الامراض في المحلات الآهلة ، اثرٌ بيّن في هذا الانتقال ، كما كان للفِرَق الناشئة من خوارج وشيعة ومُرْجِئة ومعتزلة وسنّة ، وللشعوبية بمظهرها النفعي والعلمي ، وللدين نفسه ، ولتشجيع الخلفاء والامراء ، وحياة الدعة ، اثرٌ فعالٌ لا تقل نتيجته المثمرة عن السبب الاول . كل ذلك

ادّى الى نقل العربية من حيز قبلي او حضري محدود الى نطاق اتسع شيئاً فشيئاً حتى شمل الامم والشعوب العالمة والمتفلسفة . ولم يمر قرنان وبعض الثالث حتى تغلبت اللغة العربية بفضل هذه الاسباب على الفارسية واليونانية واللاتينية والقبطية والآرامية . واصبحت اداة للامة العربية ولهذه الشعوب في التعبير عن ادق المعاني المجردة ، والنتائج العلمية . واصبح الاجنبي لا يطيق التعبير بلغته الاصلية عما يريد . وليس ذلك تقرباً من اذواق اصحاب السلطان ، وسعياً وراء منفعة . وانما حفزهم استعدادها لتأدية الدقيق من المعاني ، والرفيع من الافكار[1] . بله انها لغة الفاتح الذي تسنى له الانتشار في كل مكان .

طبيعة العمران

فالترف يؤدي بالمرء الى طلب العلوم . وقديماً قال ارسطو « على الانسان ان يشبع ثم يتفلسف » . فاذا انتشرت الدعة والترف ، وخمدت روح الفروسية

---

١ قال ابو الريحان البيروني في كتابه « الصيدنة » : « والى لسان العرب نقلت العلوم من اقطار العالم فازدانت وحلت في الافئدة ، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والاوردة ... والهجو بالعربية احب الي من المدح بالفارسية . ويعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسية كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به ، اذ لا تصلح هذه اللغة الا للاخبار الكسروية والاسمار الليلية ... »

في الصدور . تنصرف القوى الكامنة في الافراد الى ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية . فيغرق بعضهم في المجون وينفقون الحياة في ارهاق حواسهم . وبعضهم يكب على العلم فتتجه القوى الخاصة اتجاهاً خيراً ينتفع منه اصحابه والانسانيون جميعاً . كما حدث مثلاً لخالد بن يزيد الذي يئس من الخلافة فتحول الى الكيمياء .

فقد فرغ الناس ايام العباسيين من الفتوح ، او فرغ اليها بعضهم ، وتحول الآخرون الى ملاءٍ عديدة منها الدرس والتنقيب والتأمل في الماديات والمجردات ، والمشاكل اللاهوتية والطبيعية ، والوقوف على اسرار العالم وغرائب الامصار والاقوام . والعلم زِيٌّ نقال يسري في جميع الطبقات . فقد ضاق العهد العباسي بالعلماء ، والمتعلمين والمترجمين والمنشئين . واستدعى تعقد الحياة الجديدة فنوناً وعلوماً لم تكن تعرف من قبل .

البطنة والاوبئة

اقبلت الدنيا على العرب بعد جفاف ، فافرطوا في المطعم والمشرب والملذات ، واسرفوا في كل ذلك اسرافاً كبيراً ، حتى اخذت اجسامهم بالتهدل والترهل ، ولا سيما بعد ان اقلوا من امتطاء الجياد والقيام باعمال الفروسية . ونوّعوا على موائدهم الالوان ، واخذوا من

---

١ الامتلاء الشديد من الطعام . وفي المثل « البطنة تذهب الفطنة » .

الفرس والروم والسكان الاصليين اكثر مآكلهم تعقيداً ، وغالوا في استعمال البهارات والمخللات والمقليات والحلويات [١]. وانتشر داء المعدة انتشاراً مريعاً ، ولا سيما بين المترفين ، فيتداوون بالرجوع الى الصحراء ، بالاعتماد على اللبن ، والانقطاع عما تعقد من الطعام . غير ان هذا العلاج لم يكن شافياً تماماً ، فكثيرون من الخلفاء والامراء ذهبوا ضحية معدهم . وانتشرت امراض اخرى ، تكثر في الحواضر الغاصة بالناس ، كالطاعون والحميات وامراض العيون . وكل ذلك يتطلب طباً منظماً ، ورجالا ينصرفون الى هذه المهنة انصرافاً كلياً . فاخذ العرب يعنون بالكتب الطبية ، ويستقدمون الاطباء من الامصار .

واشهر هؤلاء عبدُ الملك بنُ ابجر الكناني ، وكان طبيباً عالماً ماهراً اقام اولَ امره في الاسكندرية ، لانه كان يتولى التدريس فيها من بعد الاسكندريين ، ثم اسلم على يد عمر بن عبد العزيز

---

١ كان بعض الاعراب ينزعون عمامتهم عن رأسهم فيشدون بها بطونهم من الجوع (الجاحظ : كتاب البخلاء ، ص ٣٤٢) . حاول عمر في اول عهد الاسلام ، وتبسط الناس في الحياة ، تأديب العرب . وذلك انه حين دُعي الى عرس ورأى قدراً صفراء ، واخرى حمراء ، واحدة مرة ، واخرى حلوة ، وواحدة محمضة ، كازّها كلها في قدر عظيمة وقال : ان العرب اذا اكلت هذا قتل بعضها بعضاً (كتاب البخلاء ص ١١٧) .

قبل ان يصل الى الخلافة ، وصحبه مدة ، الى ان بُويع بالخلافة فلحق بخدمته . وعرف العرب قبل عبدِ الملك بنِ ابجرَ الكناني طبيباً آخرَ هو ابن آثال النصراني من الاطباء المتميزين في دمشق ، اصطفاه معاوية واحسن اليه . وكان كثير الافتقاد له ، والاعتقاد فيه ، والمحادثة معه ، وكان خبيراً بالادوية ، ولاسيما بالسموم . وقد وصف لمعاوية الكثير منها لاهلاك الخصوم[1] . ومنهم خالد بن يزيدَ بنِ معاوية[2] ، وهو بصير بالطب والكيمياء . وله رسائل تدل على معرفته وبراعته .

واشتهر كثيرون من الاطباء قبل الاسلام وفي صدره ، اغلبهم من السريان والروم . منهم اهرن بن اعين المعروف بالقسّ ، وقد وضع كنّاشاً — مجموعاً طبياً — بالسريانية في ٣٠ مقالة ، وشمعون الراهب المعروف بطيبويه ، وسرجيس الرأسعيني اول من نقل كتب اليونان الى السريانية ، وسرابيون ، ويوحنا ابنه[3] .

---

١ ابن ابي اصيبعه ج ١ ص ١١٦ ، ١١٧ . غالى بعض المؤرخين المتشيعين للعباسيين في نسبة مثل هذه الاعمال للخلفاء الامويين ولاسيما معاوية . ولعل ابن ابي اصيبعة قد تأثر باحد هؤلاء الرواة .

٢ القاضي صاعد : كتاب طبقات الامم ص ٤٧ ، ٤٨ .

٣ ملخص عن الاب لويس شيخو : آداب نصارى الجاهلية ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، وعن تاج العروس ج ٤ ص ٢٥٨ .

ولعل اشهر هؤلاء الاطباء ، واكثرهم اثراً ، في نقل الكتب الطبية الى العربية ، وقيام مدرسة خاصة في بغداد ، هو جورجيس بن بختيشوع [١] ، وابنه بختيشوع بن جورجيس ، ثم

---

١ خدم بصناعة الطب المنصور ، وكان عنده حظياً رفيع المنزلة . ونال منه اموالا جزيلة ، ونقل له كتباً كثيرة عن اليونانيين الى اللسان العربي .

ففي سنة ١٤٨ هـ مرض ابو جعفر المنصور وفسدت معدته ، وانقطعت شهيته . وكلما عالجه الاطباء ازداد سوءاً . فتقدم الى الربيع بان يجمع الاطباء لمشاورتهم . فاجمعوا على ان اشهر اهل العصر في الطب هو جورجيس رئيس اطباء جنديسابور ، فانفذ من يحضره . فجاء بعد ان اوصى ابنه بختيشوع بامر البيمارستان واموره التي تتعلق به هناك . فأعجب المنصور بمنظره ومنطقه ، وقد دعا له بالفارسية والعربية . فحدثه بعلته ، وكيف كان ابتداؤها . واخذ يعالجه حتى رجع الى مزاجه الاول . فرح الخليفة به فرحاً شديداً ، وامر ان يجاب الى كل ما يسأل . وبقي الى جانبه مدة طويلة . وفي سنة ١٥١ هـ ارسل اليه المنصور ثلاث جوار روميات حسان مع ثلاثة آلاف دينار . فرد الجواري وابقى المال .

فلما اتصل الخبر بالمنصور احضره وقال له : « لم رددتهن ؟ » ... قال : « لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر ان تنتقل معي . وقد بقيت في جنديسابور ، ونحن معشر النصارى لا نتزوج باكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة في الحياة لا نأخذ غيرها . » فحسن موقفه من الخليفة ، وامر من وقته ان يطبب نساءه ، وزاد موضعه في عينه ، وعظم محله . وفي سنة ١٥٢ هـ مرض جورجيس مرضاً صعباً . وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره . فاستأذن بالانصراف ، وعاد الى جنديسابور ، بعد ان ترك في بغداد تلميذه عيسى بن شهلاثا (طبقات الاطباء ج ١ ص ١٢٣ ـ ١٢٥) .

جبريل حفيد الاول ، وبختيشوع بن جبريل حفيد ابنه ، وجبرائيل ابن عبيد الله [١] . واكثر من تعاطى هذه المهنة من النصارى [٢] .

علم الفلك والرياضيات

لم تقتصر حاجتهم على الطب وحده . بل احوجهم امتداد رقعة نفوذهم ، من الهند الى الاندلس ، وفرض الضرائب على الاراضي الزراعية ، وانشاء الطرقات والجسور والاقنية ، والاسفار في مختلف المناطق ، واعتقاد بعضهم ان حركات الافلاك تنبئ بالمقبلات من الحوادث العسكرية والانقلابات السياسية . . . دَفَعَهم كل ذلك الى تقريب العلماء من فلكيين ورياضيين ، لوضع الكتب في هذه العلوم والقيام بالاختبارات الدقيقة . وكان اول

---

١ راجع طبقات الاطباء ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

٢ مما يثبت هذا القول ما رواه الجاحظ في كتاب البخلاء عن اسد ابن جاني ، وهو انه كان طبيباً ، فاكسد مرة فقال له قائل : السنة وبئة ، والامراض فاشية ، وانت عالم ، ولك صبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة . فمن اين تؤتى هذا الكساد ؟ قال : اما واحدة فاني عندهم مسلم ، وقد اعتقد القوم قبل ان اتطبب ، لا بل قبل ان اخلق ، ان المسلمين لا يفلحون في الطب . واسمي اسد ، وكان ينبغي ان يكون اسمي صليبا ومرايل وبوحنا وبيرا . وكنيتي ابو الحارث ، وكان ينبغي ان تكون « ابو عيسى ، وابو زكريا ، وابو ابرهيم » ، وعلي رداء قطن ابيض ، وكان ينبغي ان يكون رداء حرير اسود . ولفظي لفظ عربي ، وكان ينبغي ان تكون لغتي لغة اهل جنديسابور (الجاحظ : كتاب البخلاء ص ١٦٢) .

من عني بذلك الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور .

ففي عام ١٥٦ هـ جاء رجل من الهند وافداً على المنصور ومعه مقالتان : الاولى في الرياضيات ، عربت فكان اثرها كبيراً ولا سيما في ادخال الارقام الهندية ، والثانية مقالة سِدْهانتا الفلكية . فامر المنصور بترجمتها ، وان يؤلف منها كتاب يتخذه العرب اصلاً في حركات الكواكب . فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفَزاري . وعمل منها كتاباً يسميه المنجمون بالسند هند الكبير ، كان عماد العلماء الى ايام الخليفة المأمون . فاختصره له ابو جعفر ابن موسى الخوارزمي ، وعمل منه زيجه المشهورة . وخالفه في التعاديل والميل . فجعل تعاديله على مذهب الفرس ، وميل الشمس فيه على مذهب بطليموس . فاستحسنه اهل ذلك الزمان من اصحاب السند هند . وطاروا به كل مطير . وما زال نافعاً عند اهل العناية بالتعديل الى زمان القاضي صاعد[1] .

اختبارات الشمالية

وفي ايام المأمون وقف العلماء على كتاب المجسطي[2] . وفهموا صور آلات

---

١ راجع القاضي صاعد : طبقات الامم ص ٤٩ ، اسماعيل مظهر : تاريخ تطور الفكر العربي ، المقتطف المجلد ٦٧ ج ١ .

٢ وضعه الفلكي المشهور بطليموس . يتعلق بعلم الهيئة والفلك وحركات

الرصد الموصوفة فيه . فجمع الخليفة العلماء من اقطار المملكة ، وامرهم ان يصنعوا مثلها ، وان يقيسوا بها الكواكب ، ويتعرفوا منها احوالها كما صنعه بطليموس ومن كان قبله . ففعلوا ذلك وتولوا الرصد بها في الشماسية من ارض الشام سنة ٢١٤ هـ (٨١٩ م) . ووقفوا على زمن سنة الشمس الرصدية ومقدار ميلها ، وخروج مركزها وموضع اوجها . وعرفوا مع ذلك بعض احوال باقي الكواكب السيارة منها والثابتة . ثم قطع بهم عن استيفاء غرضهم موت الخليفة المأمون سنة ٢١٨ هـ (٨٢٣ م) ، فقيدوا ما انتهوا اليه وسموه « الرصد المأموني » . والذي تولى ذلك يحيى ابن ابي منصور كبير المنجمين في عصره ، وسواه من مشاهير العلماء . وكانت هذه اولى عمليات الارصاد في المملكة العربية [1] .

واخذ خالد بن عبد الله المنجم ارتفاع القطب للمأمون ايضاً ببرية ديار ربيعة . فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين

النجوم . ويتألف من ثلاث عشرة مقالة منها : في المقدمات مثل البرهان على كروية السماء والارض ، وعلى ثبوت الارض في مركز العالم ، ثم ميل فلك البروج ، ومطالع درج البروج في الفلك المستقيم الخ (راجع ابن القفطي : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٦٨ ــ ٦٩ . قدري طوقان : تراث العرب العلمي ٥٧ ــ ٦٩) .

١ القاضي صاعد : كتاب طبقات الامم ص ٥٠ ــ ٥١ .

ميلًا من الارض . فضرب العدد في ثلاثمائة وستين – جملة درج الفلك بمجموعه – فانتهى ذلك باربعة وعشرين الفاً ومائة وستين ميلًا . وهو ما يعتقد المنجم انه دور كرة الارض المحيطة بالبر والبحر[١] .

الفرق

سهلت الفرق حركة الترجمة ، وكانت حافزاً شبه اساسي عليها . فالانقسام الذي بدأ ايام علي ، وانضواء المسلمين من بعد تحت لواء الفرق ، وانضمام الاعاجم اليها ، يحملون كل ما اشتهرت به امهم من مجادلات لاهوتية ، وقضايا فلسفية دقيقة ، وانتشار الاسلام في بيئات فارسية وشامية تميزت منذ القرن الرابع المسيحي بافتتانها بالتخريج والتأويل واللف حول الكلمة الواحدة قرناً واكثر ، كل ذلك أدى الى اكباب رجال الفرق على الكتب الاجنبية ومطالعتها بانعام نظر لاستخراج ادلة يفيدون منها في محاوراتهم اليومية . وكان من نتيجة هذا العنصر الدخيل ان انتقلت الفرق الاسلامية في قليل من الوقت من حالة الى اخرى ، واصطبغت بلون لم يقصد اليه احد من المؤسسين الاولين . فبعد ان كان الخلاف قائماً بينها على امور سياسية بحت ، كموقف المسلمين

---

١ ابن فضل العمري : مسالك الابصار ج ١، ص ٢١ – ٢٢ .

من اهل الخلاف والخلفاء الراشدين ، وحق علي في خلافة ابن عمه الرسول ، وفي الصفات التي يجب ان يتصف بها من يرتقي سدة الخلافة ، أيكون من اهل البيت ، ام يكون من المهاجرين ، ام من الانصار ؟ .. أيكون عَربياً أصيلًا أم أعجمياً دخيلًا ؟ .. أكانت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان صادقة أم ان هؤلاء اغتصبوا حق غيرهم ؟ .. ما يكون موقف الجماعة من الامام الضال ؟ .. بعد ان كانت لا تعنى الا بمثل هذه المباحث ، وكلها ترمي الى مصلحة مادية لحزب من الاحزاب ، او لطبقة من الطبقات ، او لجنس من الاجناس ، اذا بالفرق تنتقل الى طور جديد لا يمت الى الاول بنسب . فتتشعب وتتعدد ، ويأخذ جدلها بالدوران حول محور ديني لاهوتي كمصير مرتكب الكبائر في العالم الثاني ، وتحديد الايمان ، والحرية ، والجبرية ، وصفات الخالق ، وخلق القرآن وقدمه ، والجوهر وطبيعته ، والاسباب والمسببات ، وقدم العالم وحدوثه . كل هذا حديث دخيل يتطلب علوماً جديدة لم يعثر عليها متفلسفو الفرق الا في كتب اهل الجدل من النساطرة واليعاقبة ، فترجمت لهم واستوحوا منها الادلة والبراهين في اثبات رأيهم وتدعيم بدعهم .

الشعوبية

ترجم بعض الاجانب ما لديهم من العلوم ليشبعوا مذهبهم الشعوبي تشفياً من العرب

فعمدوا الى كتبهم الادبية والعلمية يعربونها ليظهروا لاصحاب الامر في الاسلام انهم اهل حضارة وعلم تقصّر دونها علوم الجاهلية من عرافة وزجر وطب اولي . فان معظم اصحاب البدع في الاسلام واول من نقل اليه التعاليم الاجنبية هم الشعوبيون الذين يتعصبون للعنصرية الاعجمية على العربية ، او لدين آخر على الاسلام [١] .

فالشعوبيون اذاً قسمان : بعضهم يبغض العرب لانّ هؤلاء استأثروا دونهم بالسلطة والثروة والمقام الرفيع . وآخرون يحاولون هدم الاسلام بعد ان اضعف اليهودية والنصرانية والمجوسية .

---

١ البدعة الاسلامية الاولى ادخلها رجل يهودي الاصل يسمى عبدَ الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، اعتنق الاسلام ايام الخليفة عثمان بن عفان . طوّف في الحجاز فمر بالبصرة والكوفة ، ثم ذهب الى مصر ماراً بسورية . وانضم الى الغاضبين على الخليفة الراشدي . واذاع في مصر دعوة جديدة تشعبت فيما بعد ، وعرفت باسم السبأية . علم برجعة النبي وقال : ان لكل نبي وصياً وان وصي محمد هو علي بن ابي طالب . ولذلك يجب على كل مؤمن ان يسعى جهده لايصاله الى الخلافة . رافق علياً في حملته ضد الخوارج . وكان يقدسه وينسب اليه الربوبية . ويقول فيه ما يقول النصارى في المسيح . فنفاه الى المدائن واحرق جماعة من اتباعه . ولما قتل الامام علي زعم ابن سبأ ان المقتول لم يكن علياً ، وانما كان جنّياً تصور للناس في صورته . وان علياً صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى . وسينزل الى الدنيا وينتقم من اعدائه .

فرأت هذه الفئة ان الشيع الجديدة والبدع الغريبة عن الدين ، وتعاليم الفلاسفة تزرع بذور الشك في ابنائه وتؤلبهم عليه بعد ان تألبوا معه . وفي هـذا حياة للـديانات التي يدينون بها ، ويتوارثونها اباً عن جد .

وبين هؤلاء الاجانب فئة اخرى قبلوا الاسلام ديناً والعربية قومية ولكنهم لم يـكونوا من المحـاربين الذين ينالون المجد بحـد السيف وعلى صهوات الجياد ، فطلبوا العلم تحقيقاً لرغبات الامة الفتية ، وتقرباً من اذواق الامراء والخلفاء ، بعد ان رأوا بعضاً من الخلفاء ينعمون على العلماء بالمقام الاول والثروة والمجد ، فكان المأمون يعطي وزن ما يترجم له ذهباً [١] .

---

١ عَهدَ المأمون كان يوم الثلثاء معداً للمناقشات الفقهية والمناظرات الفلسفية والادبية . فكان الادباء والعلماء والفلاسفة يؤمون القصر في الصباح حيث يقدم لهم الفطور . وما ان يصيبوا منه الكفاية حتى يدخلوا على الخليفة في الايوان المخصص لتلك المناظرات التي كان يرأسها بنفسه . ولم تكن لتنتهي الا بعد صلاة العشاء . فيدخلون حجرة اخرى حيث تعد لهم الموائد لتناول الطعام . فاذا ما فرغوا منها انصرفوا سبيلهم . اما سائر ايام الاسبوع فكانت مخصصة لمعـــالجة شؤون الدولة . (سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ ، ترجمة رياض رأفت مصر ١٩٣٨) .

حاجة الدين الى الفلسفة

لا بد لكل دين من اساس فلسفي يبني عليه اصوله ، لان المؤمن الاول يأخذه على علاته دون انعام فكر ، ويطبق تعاليمه على نفسه دون ان يتساءل عن قيمة هذه التعاليم ومبلغها من الصحة . فان الدين يبدأ بالعاطفة ، ثم يأتي عهد العقل فلا يرى المؤمن في التعاليم الجديدة ما يوافقه ، ويحاول ان يؤوّل ، وان يقارن بين دين مبتدىء ودين آخر نما وتشعب وانتشر ، ويحاول ان ينزع صفة المكانية او القومية ويرى فيه مذهباً عاماً يشمل الانسانية باجمعها .

فالدين بحاجة الى العلم في هذا الطور ، لكي يؤول ما خفي من تعاليمه ، وليناهض في سبيل حياته ، ويقف في وجه مناوئيه . فيأخذ اسلوب المنطق لمحاربة المنطق نفسه . وكلما قرب الدين من العلم او من مذهب منتشر زاد رسوخاً وانتشاراً . لذلك رأينا الغزالي الذي فهم هذه الحقيقة يتفقه بعلوم اليونان ويدرس اخبارهم ومذاهبهم ، حتى اذا شعر من نفسه بقوة عمد الى فلاسفة الاسلام والاقدمين يهدم آراءهم ويثبت ان الدين الاسلامي هو الحقيقة . فهو اذاً قد اعتمد على المنطق العقلي للنضال في سبيل العاطفة الدينية . وليست نحلة السنية المتفلسفة التي تزعمها الاشعري سوى الدين الاسلامي الذي تقلد بسلاح الاشراقيين ، ونزل لمحاربتهم بنفس

سلاحهم .وقد اغرم هؤلاء المتدينون المجادلون بحجج الفرق المسيحية التي سبقتهم ، ولاسيما الادلة التي تتفق وما يذهبون اليه ، فسعوا يتلمسونها في الحلقات او ينقلونها عن الكتب ، او يتسقطونها من افواه رجال الدين . وكان في مسعاهم هذا حافز دفع المترجمين الى نقل اقوال الفلاسفة الى اللغة العربية .

تشجيع الخلفاء

ساعد الخلفاء على نشر العلم . والناس على دين ملوكهم . فلا بد للامراء ومن يحيط بالخليفة ان يقلدوه ويطلبوا العلم تقرباً منه . ولا بد للشعب الذي تعيش فيه طبقة عالمة من ان يتأثر تأثراً عميقاً بالنزعة الجديدة وان ينبغ فيه افراد يحملون شعلة العلم ساطعة ، لان التفكير والبحث اصبحا من الاغراض التي يُسعى اليها في ذلك العصر . فبعد ان امضى عمر بن عبد العزيز اربعين ليلة يستخير الله ليطرح كتاباً طبياً بين ايدي الشعب ، نرى المأمون الخليفة العباسي ينفق الكثير من المال ، ويرسل البعثات في جمع الكتب ، ويشجع العلماء للقيام بالاختبارات ، ويصرف المترجمين لنقل العلوم على مختلف انواعها الى اللغة العربية . فيفد عليه العلماء والفلاسفة من كل قطر ، وتصبح بغداد في عهده محجة طلاب العلم وناشريه ، وترث العاصمة العباسية مدينة انطاكية ، بعد ان ورثت هذه مدينة الاسكندرية ، وينتقل اليها

اهل حران والرّها وجنديسابور يعملون في دار الحكمة [١]. وقد بلغ من شهرة المأمون في حب العلم ان نسب اليه المؤرخ الفرنسي «نويل ده فرجه» رواية اوردها في كتابه «بلاد العرب» تقول ان حرباً شبت بين المأمون والامبراطور البيزنطي تيوفيل لاسباب تعود الى حب العلم. وذلك ان المأمون كان يحاول ان يجمع في بلاطه نخبة من اشهر العلماء على اختلاف اجناسهم واديانهم، تاركا لهم الحرية التامة في عقائدهم. وكان في بلاطه امير له مولى بيزنطي اسره في احدى الغزوات، يفاخر به وبعلمه. فرغب الخليفة في ان يراه ويجادله ليتبين ما عنده من ذكاء وعلم. وعندما مثل بين يديه وتبين سعة اطلاعه، ودقة معرفته، سأله عن اسم استاذه، فقال له انه يدعى ليون، يعيش في بيزنطية عيشة فاقة رغم شهرته. فكتب اليه الخليفة يستقدمه ويعده بالثروة. ولكن العالم اليوناني لم يؤخذ ببهرجة المجد، فحمل رسالة المأمون الى الامبراطور، فمنعه هذا من الذهاب، وخصه بمرتب، وعين له احدى الكنائس ليلقي فيها دروسه العامة. واعاد

---

١ تأسست «دار الحكمة» في عهد المأمون عام ٢١٧ (٨٣٢ م) وذلك على طريقة المدارس النسطورية والزرادشتية. وجعل يحيى بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣ (٨٥٧ م) قيماً عليها.

راجع مظهر: تاريخ تطور الفكر العربي، المقتطف مجلد ٦٧، ص ٣٦٠.

المأمون الكرة ولكنه لم يتوصل الى نتيجة . وزاد تيوفيل في اكرام العالم الرومي فغضب الخليفة واعلن الحرب على البيزنطيين .

اجتمعت كل هذه الاسباب ، فكان من نتائجها المباشرة ان انتقل الى اللغة العربية في قليل من الزمن كلّ ما امتازت به العقول في مدارس اليونان والرومان ومصر والشام .

اشهر المترجمين

حنين بن اسحق
١٩٤ ؟ — ٢٦٠ هـ

لا تعرف سنة ولادته بالضبط ، انما يذهب بعضهم الى انه ولد سنة ١٩٤ هـ في الحيرة . كان ابوه صيرفياً نسطورياً . وقد درس حنين الطب على يوحنا بن ماسويه [١] . وكان ابو زيد حنين بن

---

١ كان ابو زكريا يحيى بن ماسويه طبيباً مقدماً عند الملوك ، عالماً مصنفاً . خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، سريع البديهة . عبث ابن حمدون النديم به يوماً بحضرة المتوكل ، فقال له ابن ماسويه : لو ان مكان ما فيك من الجهل عقل ، ثم قسم على مائة خنفساء ، لكانت كل واحدة منهن اعقل من ارسطاليس . وله كثير من المؤلفات الطبية والفلسفية . (ابن النديم ٤١١ — ٤١٢).

اسحق العبادي [1] كثير الاسئلة، فضجّ منه استاذه وزجره قائلًا: «ما لاهل الحيرة والطب، عليك ببيع الفلوس في الطريق.» وذلك لان يوحنا كان يتعصب لاهل جنديسابور، ويظن ان العلم وقفٌ عليهم دون سواهم. فسافر الى بلاد الروم حيث درس اللغة اليونانية بعد ان تفقه باللغة العربية على الخليل بن احمد، فاصبح يجيد اربع لغات: السريانية والفارسية والعربية واليونانية. وانضم بعد دخوله بغداد الى العصبة التي الفها المأمون في عهد خلافته لترجمة الكتب، ودعاها بدار الحكمة [2] وكان ينقح لغة المترجمين

---

١ العبادي: نسبة الى عباد الحيرة، وهم عدة بطون من قبائل عربية شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ينسب اليهم خلق كثير، منهم عدي بن زيد العبادي، الشاعر المشهور، وغيره. والعرب تسمي كل من دان للملك عابداً له، ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد، لانهم كانوا اهل طاعة لملوك العجم. (ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٢، ص١٥٢). يقول القفطي انهم انفردوا عن النـــاس في قصور ابتنوها لانفسهم بظاهر الحيرة. ص ١١٩. وهناك رأي آخر في العباديين اورده ابن العبري يقول فيه ان العباد هم قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة وتسموا بالعبـاد لانهم يعبدون الله. واسم «عبادي» في الشعر القديم يعني النصراني. قال الاخطل: «حتى اجتلاها عبادي بدينار» يريد بذلك نفسه. (راجـــع ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، طبعة الاباء اليسوعيين ١٨٩٠، ص ٢٥٠).

٢ لما انتشر ذكر حنين بين الاطباء امر الخليفة باحضاره، واقطعه

لانه افصحهم لغة . ترجم بعد ذلك للمعتصم والواثق والمتوكل . واكثر نقوله لبني موسى [١] . ورحل الى بلاد الروم في طلب الكتب وتوفي عام ٢٦٠ هـ [١] . عرف في حياته كثيراً من الاضطهاد ، ولاسيما من الاطباء النصارى الذين كانوا يدسون عليه في الخفاء ، فينسبون اليه التهم ، وينسب اليهم الخير ، حتى أرغم على الانزواء . ذكر حنين بعض هذه الحوادث في رسالة كتبها عن نفسه ، اشهرها حادثته مع بختيشوع بن جبريل ، عندما اوقع به عند الخليفة المتوكل [٢] . والواقع ان حنيناً عرف ايامـاً

الاقطاعات الحسنة ، ولكنه لم يكن ليجرؤ على التداوي بما يصفه له من الدواء دون مراجعة الاطباء الباقين ، خوفاً من ان يكون ملك الروم قد ارسله اليه جاسوساً ، فيدس له السم في الدواء . فاراد في احد الايام اختباره فأحضر له خمسين الف درهم ، وطلب منه ان يصف له دواء يقتل به عدواً ، فرفض حنين ، وأصر الخليفة ، وأمر بحبسه في بعض القلاع ، وظل في سجنه عاماً كاملاً ، ثم عاد الى تهديده . فلم ينزل على ارادته وذلك لامرين : الدين والصناعة . فسر منه الخليفة واكرمه ، واحله من نفسه مكاناً رفيعاً ، ووثق بما يصفه له . (ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٨٧ — ١٨٨) .

١ راجع ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٨٤ — ٢٠٠ . ابن النديم ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

٢ ذلك ان بختيشوع صنع قونة عليها صورة العذراء ، وفي حجرها المسيح ، والملائكة قد أحاطوا بها . وجعلها في غاية ما يكون من الحسن . فاستحسنها المتوكل ، وجعل بختيشوع يقبلها بين يديه مراراً كثيرة قائلاً : « ان كل

بائسة ، كما عرف اياماً ناعمة مترفة ، فاطمأن الى عمله المثمر ،

.....

النصارى يفعلون مثل هذا ، الا واحداً منهم هو حنين بن اسحق الكافر الزنديق.» فامر الخليفة باحضار حنين . وقبل ان يصل الى المتوكل ذهب بختيشوع للقائه قائلاً : « انه اهدي الى امير المؤمنين قوزة ، قد عظم عجبه بها ، فاستحسنها جداً . فاذا مدحناها بين يديه تولع بنا بها في كل وقت وقال : هذا ربكم وامه ، وعندما سألني عنها قلت : يوجد امثالها في الحمامات والبيع ، وهذا مما لا نبالي به . قال : أليست هي عندك شيء ؟ قلت : لا . قال : فان تكن صادقاً فابصق عليها . فبصقت وخرجت من عنده وهو يضحك . فاذا سألك ما سألني فافعل ما فعلته . » وجازت الحيلة على حنين . فأمر الخليفة بحبسه . ثم امر باحضاره ، فضرب مائة سوط ، واعيد الى محبسه ، الى ان اعتل الخليفة ، واشتد مرضه ، ولم يقدر على شفائه الاطباء . فاستدعاه مستشفياً فبرىء . (ابن ابي اصيبعة : ج ١ ص ١٩٣ — ١٩٦) . غير ان ابن العبري يروي قصة اخرى شبيهة بهذه وان اختلفت في نتيجتها ، تقول ان الطيفوري الكاتب النصراني كان يحسد حنيناً ويعاديه . واجتمعا يوماً في دار بعض النصارى ببغداد ، وهناك صورة المسيح والتلاميذ وقنديل يشتعل بين يدي الصورة . فقال حنين لصاحب البيت : لِمَ تضيع الزيت ؟ فليس هذا المسيح ولا هؤلاء التلاميذ ، وانما هي صور . فقال الطيفوري : ان لم يستحقوا الاكرام فابصق عليهم . فبصق ، فاشهد عليه الطيفوري ، ورفعه الى المتوكل ، فسأله اباحة الحكم عليه لديانة النصرانية ، فبعث الى الجاثليق والاساقفة وسئلوا عن ذلك فاوجبوا حرم حنين . فحرم وقطع زناره . وانصرف حنين الى داره ومات من ليلته فجأة ، وقيل انه سقى نفسه سمـــا . (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٢) .

وترف عيشه ، وجمع المال الكثير ، وذاع اسمه على كل لسان[1] .

طريقة ترجمته

اجمع اكثر المؤرخين ان حنيناً زعيم المترجمين ، لانه كان اكثرهم تعمقاً في اللغة العربية واللغات الاخرى ، ولاسيما اليونانية . وكان في الوقت ذاته من اشهر المفكرين والاطباء . اتخذه الاستاذ احمد امين في كتابه « ضحى الاسلام » مثالا للعالم الذي تتلاقى فيه الثقافتان العربية واليونانية ، وتمتزجان امتزاجاً منتجاً خصيباً . والواقع ان هذا الفهم الذي تميز به حنين هو الذي اوصله الى تزعم حركة الترجمة ، وجعله يعمد الى طريقته المشهورة القائمة على الاصول الحديثة .

كان للترجمة كما نقل العاملي عن الصفدي طريقتان[2] :

---

١ روى ابن ابي اصيبعة ان حنيناً كان في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام ، فيصب عليه الماء ، ويخرج فيلتف في قطيفة ، ويشرب قدح شراب ، ويأكل كعكة ، ويتكىء قليلاً ، وربما نام . ثم يقوم ويتبخر ، ويقدم له طعامه ، وهو فروج كبير مسمن ، قد طبخ زيرباجاً ، ورغيف وزنه مائتا درهم ، فيحسو من المرقة ويأكل الفروج والخبز وينام . فاذا انتبه شرب اربعة ارطال شراباً عتيقاً . فاذا اشتهى الفاكهة الرطبة اكل التفاح الشامي والسفرجل . وكان ذلك دأبه الى ان مات . (ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ، ص ١٤١ — ١٤٢) .

٢ وبحث الجاحظ الطريقتين وعرض لهما في كثير من التفهم والدقة ، وآثر بافضلية طريقة حنين ، وان كان يرفض اساساً امكانية الترجمة . (راجع كتاب السندوبي عن الجاحظ ورسائله) .

احداهما طريقة يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي ، وغيرهما ، وهو ان يُنظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ، وما تدل عليه من المعنى ، فيثبتها المترجم ، وينتقل الى الثانية حتى يأتي على جملة ما يريد ترجمته . وهذه الطريقة رديئة ، لانه لا يوجد في العربية كلمات تقابل المفردات اليونانية . ولهذا ظل خلال الترجمة كثير من الالفاظ اليونانية على حاله . وينشأ الخطأ ايضاً من جهة استعمال المجازات ، وهي كثيرة في جميع اللغات . والطريقة الثانية في الترجمة هي طريقة حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما . وهو ان يأتي المترجم الجملة ، فيحصّل معناها في ذهنه ويعبّر عنها من اللغة الثانية بجملة تطابقها ، سواء تساوت الالفاظ ام اختلفت . وهذه الطريقة أجود . ولهذا لم تحتج كتب حنين الى التنقيح .

تلامذته اشهر تلامذته ابنه اسحق . كان اوحد عصره في فن الطب ، ويلحق بابيه في النقل ، وفي معرفة اللغات وفصاحته فيها . عني بترجمة كتب الحكمة اليونانية حتى ان الذي يوجد من نقله عن ارسطاليس وغيره اكثر مما يوجد من نقله لكتب الطب . خدم من الخلفاء والرؤساء من خدمه ابوه . ثم انقطع الى القاسم بن عُبَيْدِ الله وزير الخليفة المعتضد بالله . واختص به حتى ان الوزير كان يطلعه على اسراره ، ويُفضي اليه

بما يكتمه عن غيره . ولحقه الفالج في آخر عمره . وكانت وفاته في شهر ربيع الاخر سنة ٢٩٨ هـ [١] .

ومن مشهوري تلامذته ايضا ابن اخته حبيش بن الحسن الاعسم ، وكان نصرانياً . ينقل من السرياني الى العربي ، ويقدمه حنين ويعظمه ، ويرضى عن نقله . ثم عيسى بن يحيى بن ابراهيم ، وهو من الناقلين المجودين . وكثيراً ما ينحل حنين ما نقله حبيش وعيسى وغيرهما [٢] .

مؤلفاته وترجماته الكتب التي ينسب تأليفها او ترجمتها الى حنين عديدة لا يمكن حصرها . وقد ألف بعضها نزولاً على رغبة الخليفة الواثق [٣] ، اشهرها : كتاب احكام

---

١ ابن خلكان ج ٢ ص ١٤٩ ـ ١٥٢ .

٢ الفهرست ص ٤٠٣ .

٣ سار الخليفة الواثق على خطى المأمون ، فكان محباً للنظر في الامور العقلية ، مكرما لاهل العلم ، مبغضاً للتقليد واهله . وكانت تدور مجادلات بين الفلاسفة والاطباء في حضرته ، فيشترك بنفسه في طرح الاسئلة ، وتوجيه المناقشة . ويقول المسعودي ان حنيناً ألف كثيراً من الكتب الطبية ليشرح قضية طرحها الخليفة في هذه المجالس ، ورغب في تفصيلها . من ذلك ان الخليفة سأله في احدى تلك المناظرات ما اول آلات الغذاء من الانسان ؟ فقال : اول آلات الغذاء الفم ، وفيه الاسنان . والاسنان اثنتان وثلاثون سناً . منها في اللحي الاعلى ست عشرة سناً ، وفي اللحي الاسفل كذلك

الاعراب على مذهب اليونانيين ، كتاب المسائل في الطب للمتعلمين ، وزاد فيها حبيش الاعسم تلميذه ، كتاب الاغذية ، ثلاث مقالات ، رسالة في علاج العين ، رسالة الاسنان واللثة ، رسالة اوجاع المعدة وعلاجها ، مقالتان ، كتاب في المد والجزر ، رسالة في السبب الذي صارت مياه البحر له مالحة ، رسالة المولود لثمانية اشهر ، رسالة الترياق ، رسالة في ذكر ما ترجم من الكتب ، مقالتان ، رسالة القرح وتولّده ، المقولات لارسطو ، كتاب السياسة لافلاطون ، والاخلاق لارسطو . واورد ابن النديم في فهرسته جدولا مطولا للكتب التي ترجمها حنين لجالينوس وما قام بنقله تلميذه حبيش بن الاعسم [1] .

كتاب المقالات العشر في العين

من الكتب التي طبعت اخيراً لحنين « كتاب المقالات العشر

الخ . . . واخذ في تفصيل خصائص كل نوع من الاسنان . قال الواثق : احسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف لي كتاباً تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك . فصنف له كتاباً جعله ثلاث مقالات ، يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل ، وآلات الجسد . وجاء ايضاً ان الواثق سأل حنيناً في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة ، وان حنيناً اجاب عنها وصنف في كل ذلك كتاباً ترجمه « بكتاب المسائل الطبيعية » ، يذكر فيه انواعاً من العلوم . (المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠ — ٣٥) .

١ ابن النديم : الفهرست ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

في العين» . نشر الدكتور ماكس مايرهوف نصّه العربي مع الترجمة الانكليزية ، ومقدمة قيمة عن حنين بن اسحق ، اعتمد فيها على ما جاء في كتب مؤرخي العرب كابن النديم وابن ابي اصيبعة[١] . ولعل هذا الكتاب يمثل خير تمثيل الطريقة التي كان يتبعها حنين في نقل العلوم ، ولاسيما الطب ، الى العربية . فهو لا يتقيد بما يقوله جالينوس مثلاً ، وانما يستوعب كل معانيه ، ويضيف الى ذلك ما قرأه عن العلماء ، وما خبره بنفسه ، ويظهره بشكل يكاد يكون خاصاً . فهو اقرب الى التأليف والوضع منه الى الترجمة والنقل[٢] .

---

١. القاهرة ١٩٢٨ ، المطبعة الاميرية .

٢ في كتاب « طب العيون لقسطنطين الافريقي » المطبوع في كليات اسحاق الاسرائيلي سنة ١٥١٥ م ، تسع مقالات من كتاب حنين . وقسطنطين الافريقي كان عربياً من اهل قرطاجنة بجانب تونس . اخذ اسيراً ثم اعتنق النصرانية ودخل في سلك الرهبنة في دير مونتي كسينو المشهور ، والتحق بمدرسة سلرنو الطبية . وهو اول من ترجم الكتب العربية الى اللغة اللاتينية . فاطلع اوربا الغربية على علوم العرب . وكان يترجم كثيراً من كتبهم ، وينسبها الى نفسه ، كما فعل مثلا بكتاب المقالات العشر في العين . وجعل عنوانه « كتاب قسطنطين الافريقي في طب العيون » ، واهداه الى تلميذه يوحنا . ماكس مايرهوف : كتاب المقالات العشر في العين ص ٤١ .

ثابت بن قرة

٢٢١ ــ ٢٨٨ هـ

هو ابو الحسن ثابت بن قرة الحكيم الحراني الصابئي[١] ولد في حران عام ٢٢١ هـ وتوفي يوم الخميس في ٢٦ من رجب سنة ٢٨٨ هـ، الموافق لعام ٩٠١ م. اشتغل اول امره صيرفياً في مسقط رأسه، ثم اختلف مع اهل مذهبه، فرافعوه الى رئيسهم فانكر عليه

---

١ الصابئة جماعة من الوثنيين كانت تنزل مدينة حران، اشتهرت في الاسلام بالعلماء الذين ينتسبون اليها كثابت بن قرة وابنه سنان، والبتاني الفلكي، وابي جعفر الخازن الرياضي، وجابر بن حيان. حاول المأمون اضطهاد الصابئة في حران، ثم عاد فعدل عن رأيه لما اشتهر به اهلها من العلم. وظهر فرع لها في مدينة بغداد، انشأه ثابت بعد ان اختلف مع الحرانيين. وظل هذا الفرع الى ظهور الخليفة القاهر فحمل سنان بن ثابت على الاسلام، واسلم معه بنو قومه. وفي عام ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) لم يبق في حران الا هيكل واحد لعبادة القمر. وكان لهم فيما سبق هياكل كثيرة تسمى بهيكل العلة الاولى، وهيكل العقل، وهيكل الصورة، وهيكل النفس، وهي مستديرات الشكل، وهياكل الكواكب والنيرين على اشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع. (راجع عن الصابئة : الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٧٦، (على هامش الفصل) . ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ج ١ ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦) .

De Goeje : Mémoire posthume de Dozy contenant de nouveaux documents pour l'étude de la religion des Harraniens (Travaux de la 6e session du Congrès International des Orientalistes, 1883, Leyde II, 291). Al-Dimashaki : Cosmographie, éd. Mehren, Pétersbourg, 1866, p. 39. Encyclopédie de l'Islam.

مقالته ومنعه من دخول الهيكل ، فتاب ورجع عن ذلك . ثم عاد بعد مدة الى اختلافه معهم . وارغم على الخروج من حران الى «كفرتوثا» ، فاقام بها مدة الى ان قدم محمد بن موسى ابن شاكر من بلاد الروم راجعاً الى بغداد ، فانزله في داره . وقيل انه قرأ على محمد ، وتعلم في منزله . واشتدت اواصر الصداقة بينهما ، فوصله بالمعتضد ، وكان لا يزال اميراً . ثم عندما اصبح خليفة ، ادخله في جملة المنجمين ، وابلغه اسمى المراتب واعلى المنازل . وغلت في ايامه كلمة الصابئة ، ولاسيما لدالته على الخليفة ، حتى انه كان يجلس بحضرته في كل وقت ، ويحادثه طويلاً ويضاحكه ، ويقبل عليه دون وزرائه وخاصته ، ويمشي معه متنزهاً في «الفردوس» ، وهو بستان الرياضة في دار المعتضد . وطابت له الاقامة في بغداد ، ورزق الاولاد . وكان لا يزال من عقبه في مدينة السلام ايام ابن خلكان . واشتهر الكثيرون من ذريته ومن اهله بالعلم .

شهرته

غلبت عليه الفلسفة ، غير ان شهرته الطبية بلغت حد الاساطير ، فرويت عنه الاقاصيص المعجبة التي لا تصدق[1] . وقد اشتهر في كثير من فنون العلم كالمنطق

---

١ اجتاز ثابت يوماً ماضياً الى دار الخلافة ، فسمع صياحاً وعويلاً .

والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة . وفاق سواه من الفلاسفة في ميله الى الاختبار والتجربة . فله ارصاد للشمس ، تولاها ببغداد ، وجمعها في كتاب بيّن فيه مذهبه في سنة الشمس ، وما

فقال : مات القصاب الذي كان في هذا الدكان ؟ فقيل : اي والله ياسيدنا ، البارحة فجأة . فقال : ما مات ، خذوا بنا اليه . فعدل الناس وحملوه الى دار القصاب . فتقدم الى النساء بالامساك عن اللطم والصياح ، وامرهن بان يعملن مزوّرة ، واومأ الى بعض غلمانه بان يضرب القصاب على كعبه بالعصا . وجعل يده في مجسه . وما زال ذلك يضرب كعبه الى ان قال حسبك ، واستدعى قدحاً واخرج من شكة في كمه دواء فدافه في القدح بقليل من ماء ، وفتح فم القصاب وسقاه اياه ، فاساغه . ووقعت الصيحة والزعقة في الدار والشارع بان الطبيب قد احيا الميت ، فتقدم ثابت بغلق الباب . وفتح القصاب عينيه ، واطعمه مزوّرة ، واجلسه ، وقعد عنده ساعة . فاذا باصحاب الخليفة قد جاؤوه يدعونه . فخرج معهم ، والدنيا قد انقلبت ، والعامة حوله يتعادون ، الى ان دخل دار الخلافة . ولما مثل بين يدي الخليفة قال له : يا ثابت ، ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك ؟ قال : يا مولاي ، كنت اجتاز على هذا القصاب والحظه يشرح الكبد ويطرح عليها الملح ويأكلها ، فكنت استقذر فعله اولا ، ثم قدرت ان سكنة ستلحقه ، فصرت اراعيه . واذ علمت عاقبته ، انصرفت وركبت للسكنة دواء استصحبه معي ، فلما اجتزت اليوم ، وسمعت الصياح ، قلت : مات القصاب ؟ قالوا : نعم ، فجأة البارحة . فعلمت ان السكنة قد لحقته . فدخلت اليه ، ولم اجد له نبضاً ، فضربت كعبه الى ان عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ففتح عينيه ، واطعمته مزورة . والليلة يأكل رغيفاً بدرّاج ، وفي غد يخرج من بيته . (راجع القفطي ص ٨٤ — ٨٥ . ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٢١٦ — ٢١٧) .

ادركه بالرصد في موضع اوجها ، ومقدار سنيها ، وكمية حركاتها ، وصورة تعديلها .

كان يجيد السريانية واليونانية . وقد عده سارطن من اعظم المترجمين ، واعظم من عرف في مدرسة حران في العالم . حسب طول السنة النجمية ، فكانت اكثر من الحقيقة بنصف ثانية . واشتغل بالهندسة التحليلية ، واجاد فيها اجادة عظيمة . وله فيها ابتكارات لم يسبق اليها . ووضع كتاباً في الجبر بيّن فيه علاقة الجبر بالهندسة ، وكيفية الجمع بينهما [1] .

مؤلفاته لثابت عدد وافر من الكتب المترجمة والمؤلفة منها: كتاب حساب الاهلة ، رسالة في الشمس ، رسالة في استخراج المسائل الهندسية ، رسالة في الاعداد ، رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط ، رسالة في الحصى المتولد في المثانة ، مقالة في وجع المفاصل والنقرس ، رسالة في السبب الذي من اجله صارت مياه البحر مالحة ، رسالة في البياض الذي يظهر في البدن ، رسالة في الجدري والحصبة ، رسالة في المسائل الهندسية ،

---

١ طوقان : تراث العرب العلمي ص ١٠٤ ، طبعة ١٩٤١ . ولهذا الكتاب قيمة خاصة في اظهار الدور الذي قام به العرب في الحقل العلمي ، ولا سيما في الرياضيات والاختبار .

رسالة في المربع وقطره ، رسالة في الاعداد المتحابة [١] ، رسالة في تركيب الافلاك ، رسالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية ، رسالة المولود لسبعة اشهر ، كتاب في الموسيقى ويشتمل على خمسة عشر فصلاً

يحيى بن عدي

؟٠٠ — ٣٦٤ هـ

هو من اهل المنطق في القرن الرابع الهجري . قرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي . انتهت اليه الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته . يعتنق من النصرانية المذهب اليعقوبي . كان جيد المعرفة بالنقل ، سريع الخاطر ، يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة . روى ابن النديم قال : «قال لي يوماً ، وقد عاتبته على كثرة نسخه : من اي شيء تعجب ؟ أمن صبري ؟ وقد نسخت بخطي نسختين من تفسير الطبري ، وحملتهما

---

١ يكون العددان متحابين اذا كان مجموع الاعداد — ما عدا الواحد — التي تقسم اياً منهما يساوي الآخر . فيقال ان العددين ٢٢٠ و ٢٨٤ متحابان لان مجموع الاعداد التي تقسم ٢٢٠ وهي ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ١٠ و ١١ و ٢٠ و ٢٢ و ٤٤ و ٥٥ و ١١٠ يساوي ٢٨٤ ، وكذلك قواسم العدد ٢٨٤ هي ١ و ٢ و ٤ و ٧١ و ١٤٢ ومجموعها يساوي ٢٢٠ . وقد اوجد ثابت قاعدة عامة لايجاد هذه الاعداد . (طوقان : المقتطف مجلد ٧٨ ، جز ٣ ص ٣٨) .

٢ راجع طبقات الاطباء ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، تراث العرب العلمي ، الفهرست

لملوك الاطراف ؟ وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ؟ ولعهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة .»

توفي سنة ٣٦٤ هـ وامر ان يكتب على قبره :

رُبَّ ميتٍ قد صارَ بالعِلمِ حيّاً وَمُبَقًّى قد ماتَ جهلاً وعِيّاً
فاقتنوا العِلمَ كي تنالوا خُلوداً لا تعدّوا الحياةَ في الجهلِ شيّاً

مؤلفاته

كتب رسالة استخدمتها الجماعة القائلة بان العباد هم احرار في اعمالهم ، يستحقون عليها الثواب والعقاب ، لانها صادرة عنهم . وله مقالة في تفسير كتاب طوبيقا لارسطاليس ، ومقالة في البحوث الاربعة ، ومقالة في سياسة النفس ، ومقالة في صناعة المنطق وماهيتها . واكثر ترجمته او كلها عن السريانية . واشهر ما نقله قاطيغورياس والبويطيقا والجدل لارسطو ، والقوانين وتيماوس لافلاطون . ولم يقتصر انتاجه على التأليف والترجمة ، وانما قام باصلاح النقول القديمة ، فحقق الفاظها ومعانيها ، واخرجها باسلوب جديد صحيح يسهل فهمه على طلاب العلم

---

١ راجع ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٢٣٥ . الفهرست . اسماعيل مظهر : تاريخ تطور الفكر العربي ، المقتطف مجلد ٦٧ ج ٣ .

قسطا بن لوقا

ينعته القفطي «بالفيلسوف الشامي النصراني». والمعروف ان قسطا ولد في بعلبك ، وتعلم الطب ، ثم رحل الى بلاد الروم ، فحصّل من تصانيفهم الشيء الكثير . واستُدعي الى العراق ، ليترجم كتباً ، وينقلها من اليونانية الى العربية . وقد عاصر يعقوب بن اسحق الكندي والخليفة المقتدر بالله ، ولكنه لم يطل الاقامة في بغداد ، فانتقل الى ارمينية واقام بها ، وتوفي هناك . وبني على قبره قبة اكراماً له كاكرام قبور الملوك او اصحاب الشرائع .

ابن سينا

يجعله ابن النديم في درجة حنين ، بل يذهب الى انه يجب ان يقدم عليه لفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب . كان حاذقاً بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، ماهراً في صناعة الطب . تزعّم النقلة لما اثر عنه من عبارة حسنة صحيحة وعلم وافر . وزعم بعضهم ان وفاته كانت حوالى عام ٩١٢ م .

اشهر انتاجه : رسالة في الدم ، رساله في البلغم ، كتاب المرايا المحرقة ، كتاب الاوزان والمكاييل ، كتاب علة الموت فجأة ، رسالة في اسباب الريح ، رسالة في المدخل الى المنطق ، كتاب نوادر اليونانيين ، كتاب المدخل الى علم الهندسة ، كتاب

منابع الفكر العربي

تأثر الفكر العربي بالمدارس اليونانية جملة ، فلم يقتبس من مدرسة دون اخرى ، بل حاول ما حاولته الجماعات الاسكندرية والانطاكية والحرّانية والرهوية قبل من التوفيق والجمع والفهم .

والواقع انه سار على الخطة التي رسمتها هذه المدارس لنفسها ، وظل طابعها مسيطراً على الناحية المتعلقة بما وراء الطبيعة بنوع خاص طول عهد التفلسف العربي . ولكن ما العلاقة المباشرة بين العرب وبينها ؟ كيف كانت عليه حالة هذه المدارس ابان الفتح ، وابان الترجمة ؟ وما هي العلاقة التي كانت تربط هذه المدارس ببعضها ؟ وما قيمة التعليم الذي كانت تقدمه للطلاب ؟

كل هذه الاسئلة تسارع الى اذهان الدارسين ، فيحاولون الاجابة عليها بما يسعهم من الوضوح ، معتمدين في ذلك على

١ راجع الفهرست ص ٤١١ . ابن ابي اصيبعة : ج ١ ص ٢٤٤ . ابن خلكان : وفيات الاعيان . القفطي : ص ١٧٣ . قدري طوقان : تراث العرب العلمي ص ١٩٩ .

النصوص العربية نفسها ، وعلى المراجع السريانية والفرنجية . غير ان الجلاء يظل بعيداً عنها ، لان الغموض يكتنفها من كل جهة . فليس لدينا معلومات كافية عن حالة المدرسة الاسكندرية ابان الفتح ، بل ان احد المؤرخين ، عهد العباسيين ، يشير الى اسطورة تقول ان العرب عندما دخلوا الاسكندرية احرقوا مكتبتها الغنية . ولسنا الان في معرض الرد عليها ، فقد حقق المعاصرون التهمة ، وانتهوا الى ان العربي الفاتح لم يقترف هذا الجرم ، لان المكتبة كان قد اصابها الحريق والتلف من قبل . من المؤكد ان مدرسة الاسكندرية كانت لا تزال قائمة وقت الفتح . فكانت المدرسة اليونانية البحت الوحيدة في البلاد التي غزاها العرب في دفعتهم الاولى [١] .

ويشير المسعودي الى انتقال التعليم من الاسكندرية ايام عمر بن عبد العزيز الى انطاكية ، ثم انتقاله الى حرّان ايام المتوكل ، وانتهاء ذلك ايام المعتضد الى قويري ، ويوحنا بن حيلان ، وابراهيم المروزي ، وابي بشر متى بن يونس [٢] واشار ابن

---

١ راجع الدكتور ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٣٧ - ٣٨ من كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مصر ١٩٤٠ .

٢ المسعودي : الاشراف والتنبيه ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، طبعة بغداد ١٩٣٨ .

ابي اصيبعة الى هذه الرواية ، والى انتقال مدرسة الاسكندرية الى انطاكية عندما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ[١].

وهكذا يتجلى لنا ان مدرسة الاسكندرية لم تنتقل الى انطاكية الا بعد مضي ثمانين سنة تقريباً على الفتح الاسلامي . ولعل من اسباب ذلك الانتقال العزلةَ التي اصبحت فيها الاسكندرية بعد الفتح ، فقد فصلت عن بيزنطية بسبب حروب

---

١ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ١ ص ١١٦ ، طبعة ١٨٨٢ .

ومما يثبت هذه الفكرة ما ذكره ابن ابي اصيبعة عن نص للفارابي يتعلق بتاريخ الفلسفة اليونانية عامة ، وانتقالها الى الاسكندرية ، ثم تحولها الى بغداد ، اشار اليه ابو نصر ايضاً في احدى رسائله التمهيدية لدراسة الفلسفة ، جاء فيه : « وبقيت الفلسفة في الاسكندرية بعد الاسلام بمدة طويلة ، عندئذ انتقل التعليم منها الى انطاكية ، وبقي بها زمناً طويلا الى ان بقي معلم واحد فتعلم منه اثنان خرجا ومعهما الكتب . فكان احدهما من اهل حران ، والاخر من اهل مرو ، فتعلم من الحراني اسرائيل الاسقف وقويري ، وتعلم من الثاني رجلان ، احدهما ابراهيم المروزي ، والآخر يوحنا بن حيلان ، فاخذ قويري بالتعليم ، وتشاغل يوحنا بن حيلان بدينه . وجاء ابراهيم المروزي بغداد فاقام بها وعلم فيها ، ودرس عليه ابو بشر متى بن يونس ، وقد درس الفارابي على ابن حيلان وابي بشر . (ابن ابي أصيبعة ج ٢ ص ١٣٥) .

البحر المستمرة [١]، وقربَ انطاكية من بلاد الروم وعاصمة الخلافة الاموية. ولم تنتقل الى حران الا في خلافة المتوكل (٢٣٢ هـ — ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ م — ٨٦١ م) فتكون قد بقيت في انطاكية ١٣٠ او ١٤٠ سنة تقريباً قبل ان تنتقل الى حران. واستمرت هنالك مدة اربعين سنة. وسبب انتقالها كان انتقال مقر الخلافة، وكون حران مركزاً مهماً للثقافة اليونانية، حتى ان آخر الخلفاء الامويين، وهو مروان الثاني، نقل مركز الخلافة احياناً مدة خلافته الى هذه المدينة [٢].

المدارس

الاماكن التي ازدهرت فيها العلوم اليونانية في المنطقة التي تتكلم السريانية والفارسية هي الرها ونصيبين والمدائن وجنديسابور بالنسبة الى النسطوريين، ثم انطاكية واميدا بالنسبة الى العقوبيين [٣] والى جانب هذا كانت

---

١ مايرهوف ص ٦٧ — ٦٨.

٢ مايرهوف ص ٧٠.

٣ اليعقوبيون او اليعاقبة شيعة نصرانية اقام اسسها يعقوب البرادعي في القرن السادس، قائلا ان في المسيح طبيعة واحدة. وقد اضطهدتها الامبراطورية البيزنطية اضطهاداً عنيفاً، وشتتت زعماءها واقفلت كنائسها لكي تجعل بين المسيحيين في الامبراطورية وحدة ايمانية. ولكنها لم تنجح في مهمتها، فزاد اتباعها تشبثاً بعقيدتهم. واتخذت هذه الشيعة من اللغة السريانية اداة في مناظراتها اللاهوتية وفي تدوين تاريخها. ونشرت بآرائها بين القبائل العربية، فانتشرت انتشاراً واسعاً

هناك مدارس في الاديرة [1].

وقد مثل النساطرة [2] دوراً هاماً ايام الساسانيين ، ونقلوا بواسطة

في اطراف الجزيرة الشمالية ، فكان منها التغالبة والغساسنة ، وكثير من القبائل الضاربة بين اعالي نجد ومشارف الشام . وكأننا بجماعة اليعاقبة حاولت بتكتلها وانكماشها على نفسها ، وانصرافها عن اللغة اليونانية في أدبها ، ان تؤلف لنفسها كياناً مستقلا يرمز لنزعتها التحريرية من سيطرة بيزنطية .

١ مارهوف ص ٥٣ .

٢ هم اتباع نسطوريوس . وكان راهباً سورياً ، ترقى في السلك الكهنوتي حتى اصبح عام ٤٢٨ م بطريركاً على القسطنطينية . وكان متوقد الذكاء ، ورعاً ، حارب بطلاقة لسان وفصاحة بيان مذهب آريوس . وقد جهر نسطوريوس بمذهبه القائل ان في المسيح اقنومين ، وان مريم ليست عذراء ولا تسمى والدة الاله ، وان الروح القدس منبثق من الاب فقط .

وعند نشر هذا الرأي اجتمع زعماء المسيحيين وخلعوه عن كرسيه . وسمح له ان يلتجىء الى دير بالقرب من انطاكية . وعوضاً عن ان يستكين الى الراحة ، انصرف هناك الى نشر دعوته . فارغم الامبراطور على نفيه الى شبه جزيرة العرب ، ثم الى مصر العليا . فوافاه اجله وهو في الطريق الى منفاه الجديد .

كان في الرها آنذاك مدرسة لاهوتية مشهورة . يتبع دروسها كثير من الطلاب لاشتهار معلميها بسعة المعرفة . والرها تقع على حدود الامبراطورية الرومانية الفارسية . لذلك كانت مركز اشعاع للنصرانية باتجاه العراق . وكان الفرس يدينون بالمزدكية . غير ان الشعوب الخاضعة لهم كانت تدين بالنصرانية منذ زمن بعيد . وكان المعلمون الرهويون يدرسون تعاليم نسطوريوس ، وهي لا توافق المذهب الرسمي الذي تقول به القسطنطينية .

الفرس مذهبهم الى اليمن عندما فتحها القائد الفارسي وهريز عام ٥٩٧ م ، فدخلت النصرانية بلاد العرب بشكلها النسطوري ، ولاسيما في المناطق التي خضعت للنفوذ الفارسي ، اي شرقي الخط الممتد من اقصى الشرق في حضرموت الى تدمر . ونقل لنا التاريخ اسماء ست اسقفيات كانت على الشاطىء الشرقي .

والواقع ان الكنيسة العربية في جنوبي الجزيرة كانت نسطورية عند ظهور الدعوة الاسلامية . والكهنة الذين اتصلوا بالنبي ، على ما يروى ، ينتمون الى هذه الملة [١] .

الاسكندرية هي اهم المدارس الفلسفية ، والمنبع الذي استقى منه جميع الفلاسفة الذين ظهروا على

فاعلن الامبراطور زينون عام ٤٨٩ م اقفال مدرسة الرها ، وتشريد الاساتذة النسطوريين . وعندئذ حدث ما لم يكن منه بد : جعل الفرس هؤلاء الاساتذة تحت حمايتهم ، واهرقت دماء النصارى الذين لا يدينون بمذهبهم . واستقلت الكنيسة النسطورية الفارسية استقلالا تاماً . واظهرت هذه الكنيسة قبل استقلالها نشاطاً كبيراً فوجهت الدعاة الى البلدان العربية ، والى الهند وآسية الوسطى والصين . وفي القرن السادس كان نصارى نسطوريون يقيمون في جزيرة سقطرة عند مدخل البحر الاحمر . وكثيرون من العرب كانوا ينتمون الى المذهب النسطوري بين القرن السادس والتاسع ، وقد تميزوا بمحاربتهم للصور والايقونات . (راجع : Pisani : A travers l'Orient, p. 19.).

الشاطىء الشرقي من البحر المتوسط . فقد تجاورت في حلقاتها الدراسية مذاهب الاغريق القديمة والمستحدثة ، واقوال المصريين والهنود ، وامتزجت النزعات المتناقضة المراوحة بين المادية الصرف والروحانية المتعصبة . وتعاون المفكرون الذين برزوا فيها ، على مختلف الادوار ، تعاوناً وثيقاً ، فزالت الفوارق التي تميز بينهم ، واصبحوا كأنهم يمثلون مذهباً واحداً . فالاكاديمون يعلّمون مذهبَ الرواقيين والرواقيون يعلمون مبادىءَ الاكاديمين .

والواقعُ ان الفكرة الاغريقية تسرّبت الى الاسكندرية اثرَ الاسكندر الكبير . فصادفت في مصر عالماً جديداً ما تعرفت اليه فيما مضى . وأفادتْ من التعاليم الشرقية المنتشرة آنذاك ، ومن التعاليم الخاصة التي كان يتوارثها كهّان الفراعنة عن اسلافهم ، وغدت منذ ذلك الحين ملتقى جميع المفكرين والمتعلمين ، والشيَعِ والنحل الشرقية والغربية ، القديمة والحديثة ، من عهد الكلدانيين الى المقدونيين المعاصرين . سهلت الحياة للجميع بما كانوا ينعمون به من الحرية المطلقة في عاداتهم ، وعقائدهم وآرائهم . يتعبد كل منهم الى آلهته ، ويحافظ على تقاليده الخاصة ، ويعيش الى جانب جار له يخالفه في كل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية ، دون ان يكون بينهما تنافر او تناحرٌ ، وانما هناك حرية لا حدَّ لها ، وتساهلٌ لا يُقيده شرع حكومي .

فشيدت المذابح لكل الالهة ، وقام المعلمون ينادون بكل النظريات [١] . وقد تألف من هذا التجاور والتفاهم مذاهب تقول بالتوفيق والجمع ، ادت حوالى القرن الاول للمسيح الى ظهور مدرسة « الافلاطونية الحديثة » او « المذهب الاسكندري » ، وهي المدرسة التي طبعت الفكر العربي بطابعه الخاص ، ولاسيما الجماعة التي يُطلق عليها اسم « المدرسة الاشراقية » [٢] .

زعماء المذهب الاسكندري

فيلون : ولد سنة ٤٠ ق.م ، — ويقول بعضهم سنة ٢٥ — من اسرة يهودية نبيلة في مدينة الاسكندرية ، وتوفي سنة ٥٠ ب . م . كان كثير النفوذ بين ابناء طائفته ، واسع الاطلاع ، ذا فكرة ثاقبة ، عرف وتميز بانه من اشهر شراح التوراة .

---

١ Prat : Histoire de l'Eclectisme Alexandrin, T. I, p 1.

٢ اما القول باقتصار الفكر العربي على الاخذ من اليونانيين وحدهم وبافتقاره الى التأمل الذاتي ، والاختبار الشخصي ، فهو قول لا يستند الى حقيقة تاريخية واقعية ، لان العرب لم يقفوا جهدهم على الناحية الاشراقية فحسب ، وانما انفقوا الكثير من العناء في تفهم اسرار المادة . فاكتشفوا في علم الهيئة والطبيعيات والكيمياء والطب قوانين دقيقة اعترف بصحتها العلم الحديث . غير ان هذه النواحي المشرقة من تاريخ الفكر العربي لا تزال الى الان تحت ركام من الغموض والتشتت . وربما قيض لها في المستقبل جماعات علمية رصينة منظمة تظهرها الى الوجود .

سافر في آخر حياته مع الوفد اليهودي الذي ذهب الى روما ليتظلم امام الامبراطور من معاملة الحاكم الروماني ليهود الاسكندرية .

مذهبه : كان يؤمن بالوحي حسب ما جاءت به التوراة ، كما كان يؤمن بتعاليم الفلسفة اليونانية . وله الفضل الاكبر في الانتقال بالديانة اليهودية من طور تمسكها بالمظاهر الدينية القديمة ، وتشبثها بالتأويلات الموروثة ، الى طور العهد الجديد ، عهد التأويلات العقلية العاطفية القائمة على مبادىء المدارس الفلسفية المختلفة ، والنزعات اللاهوتية المتباينة .

من اهم آرائه ، او اذا شئت قل من الاسس التي اتخذها لحياته العقلية ، تقريب الديانة اليهودية من العقل ، وتفهمها تفهما رمزياً على خلاف مذهب المحافظين [١] . فهو يعتقد بوجود إله قادر يدير العالم بسلسلة من الوسطاء . وتتصل به النفس الفردية بالطريقة ذاتها . والواسطة — حسب رأيه — لا تحدد بماهيتها فقط ، بل بوظيفتها . فاذا ادركنا المهمة التي تقوم بها عرفنا ذاتها . وهي تنقسم الى مخلوقات جديدة مختلفة : الكلمة او العقل الذي يرى

---

١ كتبه شروح رمزية للعهد القديم . ترجم الاستاذ بوهيه كتاباً منها الى الفرنسية عام ١٩٠٩ بعنوان : « الشرح الرمزي للشرائع المقدسة » .

٢ Voir : Recherches de Sciences Religieuses 1933,pp. 331-334.

فيه الخالق مثال العالم ، وبواسطته يقوم بوظيفة الخلق . ثم تأتي بعده سلسلة من القوى الخيّرة والخالقة والمعاقبة هي مجموعة الملائكة والشياطين المكلفين بتنفيذ الارادة الالهية . وهذه الوسائط تتبعها النفس اذا ارادت الاتصال بالخالق .

ففي الاصل كان الواحد ، ولما تطور في ذاته وجد العقل او الكلمة ، ثم تطور العقل فظهرت الروح . ثم حدثت المادة لتأليف العالم الحسي باتصالها بالصورة . وعلى هذه الاسس قام المذهب الاسكندري .

افلوطين : ولد سنة ٢٠٥ م في اسيوط — ليكوبوليس — ، وتوفي في « كامبانيا » من اعمال ايطاليا سنة ٢٧٠ . درس في الاسكندرية على امونيوس[١] ، وتحزب له ، ودافع عن نظرياته ، وساهم في حملة الامبراطور غورديان على فارس ، لكي يتعرف عن كثب الى مذاهب هذه الامة وعلومها . وفي عام ٢٤٥ نزل روما ولبث فيها حتى مات .

---

١ امونيوس السقاس كان اول عهده حمالاً . ولد من ابوين نصرانيين ، ولكنه اعتنق الدين اليوناني القديم . هو اول المعلمين الذين حاولوا التوفيق بين تعاليم افلاطون وارسطو . درس في الاسكندرية بين عامي ٢٣٢ و٢٤٢م. واوقف افلوطين — وكان لهذا من العمر ٢٨ سنة — على الفلسفة الحقيقية. من تلامذته المعروفين افلوطين ، ولونجان و هيرينوس ، واوريجين .

ولعل لذهابه الى عاصمة الامبراطورية سببين : اتساع الافق العلمي والتبشيري ، واشتداد الخصومة عليه في الاسكندرية . وكانت العاصمة تضم عهدئذ اعنف من عرفتهم النصرانية من الاعداء .

لم يسمح اول عهده بحضور دروسه الا لمن يعتقد فيهم الكفاءة في الفهم والادراك ، وبينهم الامبراطور جولينوس ، وفوريفوريوس الصوري . وكان يطلب من مستمعيه ان يطرحوا عليه ما يمر في خواطرهم من الاسئلة ، فتتعدد القضايا المعروضة والاجوبة . ويقوم الجدل في الحلقة ، وتختلط الابحاث القيمة بالمواضيع العادية التافهة . والح عليه طلابه بجمع آرائه في دراسات مكتوبة تسهل لهم المراجعة والتأمل .

وقد اثار في المجتمع الروماني ، ولاسيما عند المستمعين اليه ، ومنهم اعضاء المشيخة والقواد والحكام ، شعوراً عنيفاً بالعالم العقلي ، حتى ان احد النبلاء المشهورين اعتق جميع عبيده ، وتنازل عن املاكه وامتيازاته ، ليعتنق مذهب افلوطين الفلسفي ، ويتصل بالخالق بواسطة السكر الروحي .

نعم الفيلسوف الاسكندري في روما باحترام الناس اجمعين . فوكل اليه كثيرون ، قبيل وفاتهم ، امر تثقيف ابنائهم ، وادارة اموالهم ، كأنه وصيّ آلهي . وكان يتصرف في حياته العملية بنزاهة

اثارت اعجاب عارفيه ، مما جعلهم يلهجون بالثناء عليه ، ويزدادون له حباً . يحكمونه فيما ينشب بينهم من خصومات ، فيحل ما تعقد من مشاكلهم باكثر ما يمكن من الدراية والحكمة . وحل من قلب الامبراطور جولينوس محلاً رفيعاً ، حتى انه فكر في احد الايام ان يجعل من كامبانيا مدينة في ضواحي روما ، يقيم فيها الفلاسفة الذين يتولون بمذهب افلاطين ، يطلق عليها اسم « مدينة افلاطون » .

اسمى بورفير — فوريفوريوس — مؤلفات اساتذه « التاسوعات » بعد ان عدّل اسلوبها ، ونقح ما فيها من الاخطاء اللغوية .

مذهبه : في عام ٢٥٣ قرر ان يكتب وينشر . وكان ينشىء بسرعة ، ولا يعود الى تنقيح ما يخطه ، بل يعهد بالامر الى امين سره وتلميذه بورفير . وهكذا ظهرت مجموعة « التاسوعات » التي نشرها بورفير في ست مجموعات . ويبدو ان هذه الرسائل تمثل بدقة تعاليم الاستاذ الشفوية ، دون ان تعرض لوحدة نظريته ، فتفصلها بترتيب منطقي . هي عبارة عن سلسلة من المحاضرات توضح نقاطاً خاصة ، منها قيمة علم النجوم والتنجيم ، وطريقة هبوط النفس الى الجسم واتحادها به ، ومشكلة الذاكرة في مختلف اصناف الارواح ابتداء من الروح

الانسانية الى روح العالم باسره . اما الاسس التي ارتكز عليها مذهبه فهي :

١ — الواحد هو كل شيء ، ولكننا لا نقدر ان نثبت انه شيء من الاشياء ، او القول انه كائن او ذات او حياة . فهو ارفع من كل هذه . ليس فيه تجزؤ ولا تباين . وهو ايضاً الخير ، لانه يعطي لكل وجود وجوده ، ويؤلف الاقنوم الاول .

٢ — لماذا لم يبق « الواحد » وحيداً ؟ لماذا لم تنحصر فيه الحقيقة منذ الازل والى الابد ؟ ذلك لان كل كائن كامل ، كالكائن الحي ابان النضج ، يصدر عنه شبيه له . وهو صدور لا شعوري ، ولا ارادي . ولكنه لا يتضمن عنصر الاضطرار والالزام ، لانه يعود الى فيضان الذات ، كما يحدث في نبع الماء المتدفق ، وفي النور المشع . فالكائن الحي والنبع والنور لا تخسر جميعها شيئاً في انتشارها ، وتحفظ في ذاتها حقيقة وجودها .

٣ — يسعى المخلوق جهده للبقاء قرب خالقه . فلا يكاد يظهر في الوجود حتى يعود الى التأمل بسببه .

٤ — اول مخلوق يحدث من هذا الصدور يشابه الخالق مشابهة كبيرة في كماله . ولكنه يبقى دونه . وهذا المخلوق الاول هو الكلمة او العقل . والعقل يوجد بدوره النفس الكلية . فالنفس هي الكلمة المنبثقة من العقل ، كما ان العقل هو كلمة الواحد .

٥ ــ كانت الروح الفردية في العالم الاعلى حيث تعرفت الى كل شيء ، ولكنها اتحدت بجسم ونفس ثانية سفلى ، فيجب ان نفك قيودها ، وان ننقذها من جميع المحسوسات . وعندما نفعل ذلك نفهم اسرار الطبيعة . واغرب ما في رأي افلوطين وجود روحين عند كل انسان : روح عاقلة تعطي الشخص قيمته الخلقية ، ولكنها ليست في الجسم ، ونقدر ان ترتفع الى المعقولات والى الحق المطلق بالانجذاب ، والنفس التي لا تفكر ، وانما تتصور مهمتها على تحريك الجسم .

٦ ــ ذهب الى ان الجسم هو مدفن الروح ، والعالم الحسي كهف . ووجود الانسان على الارض حدث بعد جرم اقترفته الروح ، فجعل موضوع الفلسفة معرفة العالم العقلي . وتتم هذه المعرفة بالانجذاب . قال بورفير : اني لم اتوصل الى هذه المرتبة الا مرة واحدة في حياتي عندما كنت في الثامنة والستين . اما افلوطين فكان اسعد حظاً منه ، اذ توصل اليها اربع مرات .

تسرب المذهب الاسكندري الى اليهودية والنصرانية

عمد اليهودي الذي اشتهر بمحافظته وتقليده الى التوراة يطالعها باللغة اليونانية بعد ان اهمل لغته القومية . يتفهم التوراة كما يتفهم اليوناني اشعار هوميروس . يؤولها تأويلا شفوياً ، ويرى في خلق آدم انبثاق

العقل الكلي من الواحد ، وفي حواء الشعور والاحساس ، وفي الحية اللذات الخداعة .

كانت هذه المدرسة شكلا جديداً اتخذه الفكر في المدرسة الانتقائية الرومية . واصبح هذا الاختيار لا يقتصر فقط على المذاهب الفلسفية ، وانما تعدّى كل ذلك الى المذاهب الدينية ، او بكلام آخر ، تألف مذهب اختياري جديد يشمل كل ما يمكن ان يمر في خلد الانسان وضميره من امور علمية ودينية ، واصبح مذهباً دينياً ثابتاً له دعائمه الخاصة واسراره الخاصة ، ومعجزاته واحياناً شعوذاته . كان له دور عظيم في تطور الفكر في القسم الشرقي من البحر المتوسط . فهدم الصرح المحافظ الذي حاصرت فيه الفكرة الاسرائيلية من الناحيتين : السياسية والاجتماعية في عهد السدوسيين والمكابيين . واصبح عهد الاسكندرية عهد انتصار كبير للجماعات المتطرفة المغرقة في اغريقيتها ، وما يتبع ذلك من علم وجدل ومنطق .

لم تكد تمر مدة من الزمن حتى اصبح اليهود الممثلين الاولين للثقافة اليونانية ، يحصرونها في صدورهم ، ويشونها في بيئاتهم . ونشأت بين رجال دينهم طبقة متطرفة في تحضرها وعلومها . طلقت الاساليب القديمة ، وعكفت على شروح فيلون ، تحاول ان تجد فيها حلّا للمسائل التي تعرضُ لها في

الدين والدنيا . وقد رافقت هذه الثورة الفكرية في الشوق الادنى ظهور المسيحية وانتشارها في الحواضر السورية اولا ، ثم في المقاطعات الرومانية الشرقية ، الى ان غزت روما قلب العالم القديم وعاصمته السياسية . فلم يلتفت رجال المسيحية الاولون الى هذا الجدل المجدب ، لان غايتهم المثلى لم تكن في مقدمة ينظمونها ، او نتيجة يتوصلون اليها . وانما كان ايمان العامة منهم عاطفياً عميقاً لا يعتمدون في اثباته على اصول البرهان والقياس . وكان الهم الاكبر الذي انصرف اليه زعماء الكنيسة في طورها الاول ، ولاسيما في القرنين الاولين ومستهل القرن الثالث ، ان يدفعوا الاذى عن رعاياهم ، ويردوا كيد المضطهدين ، ويوزعوا الرحمة والرأفة على المؤمنين ، ويصقلوا عقيدتهم بما كانوا يتلونه عليهم من الامثال الشعرية التي تدخل الى اعماق النفوس بسهولة غريبة ، فيفهمها الشيخ والعجوز والفتاة والفتى ويتذوقها الجميع ، ويغرقون في تأمل نفساني عميق . ساعد ذلك كثيراً في تحول عدد كبير من الحافظين في اليهودية عن عقيدتهم الاولى الى الدين الجديد الذي رأوه مكملاً لدينهم .

ولكن الحالة هذه لم تدم طويلاً . فكان لانتشار المسيحية السريع في جميع الاقطار والبيئات الوثنية المتأثرة بالمذاهب القديمة ، ولاسيما الافلاطونية المستحدثة ، اثر بيّن في شرح العقيدة

وتفهمها . ولم تكد الامبراطورية الرومانية تحول دون مناهضتها ثم تعتنقها ديانة رسمية ، وتخرج من السراديب والمعابد الخفية حيث يعبق البخور والايمان ، ويحيط بالعقيدة هالة من التقديس والتسليم العاطفي ، الى العالم الوسيع ، الى الاندية والمجتمعات ، الى حلقات المتعلمين والمتفلسفين ، حتى اخذت النصرانية تستند في جدالها ومناقشاتها الى الاسلوب المنطقي اليوناني ، لان ممثلي الايمان العاطفي اصبحوا ، كما سنرى في الاسلام بعدُ ، اقلية بالنسبة الى من تنصر من الوثنيين .

ولم يلبث ان تجاوز هذا الاسلوب في القرون الرابع والخامس والسابع المسيحيين العلمانيين الى رجال الدين ، من كهنة واساقفة . فتعددت بينهم النزعات المتطرفة . واخذت المجامع المقدسة تعقد لدرس المسائل الهامة وتقرير خطة حاسمة فيما يتعلق بالخصومات اللاهوتية . وكثرت البدع كالآريوسية والنساطرة واليعاقبة .

والجدير بالذكر اننا نعثر في ذلك العهد على مؤلفات جمة تبحث العقيدة المسيحية بطريقة عقلية فلسفية . منها « الاعداد الانجيلي » لايزوب القيصري (٢٦٥ ــ ٣٤٠) ، حاول فيه ان يبين ان من الممكن اثبات اصول الدين بطريقة منطقية حسب الشروط التي وضعها الفكر اليوناني . وبعد ذلك بزمن قليل رأينا غوريهوريوس النازيانزي (٣٣٠ ــ ٣٩٠) يسرف في الدفاع

عن العلوم التي تدرس في الحلقات العلمية . واستخدم ناماسيوس (٤٠٠) اسقف حمص في كتابه عن « طبيعة الانسان » النظريات اليونانية دون ان يشير الى شيء من تعاليم النصرانية . طرق في بحثه هذا موضوعاً دقيقاً يتعلق بصلة النفس بالجسد ، وتساءل كيف يمكن هذين العنصرين المتناقضين ان يجتمعا ويؤلفا كائناً واحداً . وانتهى بدرسه الى ذكر نظرية نحلها امونيوس السقاس تشبه نظرية افاوطين ، تلخص بتشبيه النفس بنور عقلي يسبح فيه الجسد . وهذا مما يؤيد اصل النفس الالهي . وهي نظرية كانت تفرق بين المسيحيين واتباع الاغريق في ذلك العهد .

وظهر الاثر الاغريقي ايضاً باجلى وضوح في مؤلف للفيلسوف اونيوس من غزة (٥٠٠) عنوانه « تيوفراست » نرى فيه حواراً طريفاً بين مسيحي شرقي ويوناني وثني حضر حديثاً من آثينا حاملاً في جعبته جميع تقاليد امته الفكرية . والغريب في الامر ان المسيحي يجيد استعمال سلاحه هذا كما يجيده اليوناني نفسه . فيثبت بالقياس والبرهان خلق العالم وفناءه ، وحشر الاجسام بعد الحساب .

اهم مصادر الفصل

القاضي صاعد	طبقات الامم	بيروت	١٩١٢
ابن ابي اصيبعة	عيون الانباء في طبقات الاطباء ، جزآن		١٨٨٢
اسماعيل مظهر	تاريخ الفكر العربي	مصر	١٩٢٨
ابن القفطي	اخبار العلماء باخبار الحكماء	مصر	١٣٢٦ هـ
قدري طوقان	تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك	مصر	١٩٤١
ابن فضل العمري	مسالك الابصار ، الجزء الاول	مصر	١٩٢٤
ابن النديم	الفهرست	مصر	١٣٤٨ هـ
ماكس ماير هوف	من الاسكندرية الى بغداد ، من كتاب « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » ترجمة عبد الرحمن بدوي	مصر	١٩٤٠

Robin : La Pensée grecque.
Brehier : Histoire de la philosophie.
» : La philosophie de Plotin, 1922.

obeikandl.com